الأخـــذ عن أوربا

للدكتور محمد مندور

يردد بعض الناس هنا وهناك أن الشرق غير الغرب، وأنه لا سبيل لالتقائهما، ونحن فى الحق لا نعرف قولاً أكذب من هذا وبخاصة فى مجال الثقافة، حيث يشهد التاريخ أن التيارات الفكرية لم ينقطع لها مدد بين شطرى العالم، وإن كان من الصحيح أن لكل من هذين الشطرين خصائص مميزة إلى جانب ما يجتمعان فيه حقائق إنسانية عامة

والناظر فى تاريخ الحضارات يلاحظ أنها لم تتوقف قط عن التأثر ببعضها البعض، ولئن كان من الثابت أن الشرق قد كان مهد الحضارات؛ فإن الغرب لم يلبث أن أخذها عنه واتجه بها وجهات جديدة فنشر فى الروح مبادىء العقل واتجه بالنظر إلى العمل، وبذلك وسع من أسس الحياة الروحية كما مكن للانسان من استخدام المادة والسيطرة عليها

ولقد سبق للعرب أن اتصلوا بالحضارة الإغريقية القديمة، وأخذوا عن تلك الحضارة ما أمكن أخذه مما يصح عند العقول كافة كأصول التفكير الرياضى والفلسفى، وأما ما يتصل من تلك الحضارة بمقومات الحياة الاجتماعية والعاطفية، وهو ما تتميز به الحضارات، فلم يستطيعوا بداهة فهمه ولا قبوله أو نقله، ومن هنا لم يترجموا إلى لغتهم شيئاً من شعر الإغريق وإن كانوا على العكس من ذلك قد ترجموا جانباً من أشعار الفرس كالشاهنامه وغيرها. وربما كان ذلك لأن حياة الفرس التى يصورها ذلك الشعر كانت أقرب إلى حياة العرب من حياة الإغريق، ثم إن الدين قد لعب فى هذه المفارقة دوراً حاسماً، فالفردوسى شاعر مسلم وهوميروس وثنى

ولقد تجردت نفس الظاهرة ببلادنا منذ أن أخذنا ننقل عن أوربا فى أوائل القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا، فالشعر بل والنثر الأدبى بمعناه الضيق كان آخر ما أخذنا فى نقله، بينما

الأمالى. ولا تزال المساجد حتى اليوم موضع درس

وأعظم المساجد صيتاً فى التعليم فى عصرنا الجامع الأزهر بمصر، وجامع الزيتونة فى تونس، وجامع القرويين بفاس

ثم أنشئت دور للتعليم خاصة، من أقدمها بيت الحكمة الذى بناه الرشيد فيما يظهر، وكان للترجمة والتعليم. روى القفطى فى أخبار بنى موسى بن شاكر أن المأمون أوصى بهم إسحق ابن إبراهيم المصيصى وأثبتهم مع يحيى بن أبى منصور فى بيت الحكمة... إلى أن قال: تخرج بنو موسى بن شاكر نهاية فى علومهم، وكان أكبرهم وأجلهم أبو جعفر محمد، وكان وافر الحظ من الهندسة والنجوم عالماً بأقليدس والمجسطى وجميع كتب النجوم والهندسة والعدد والمنطق

وفى القرن الثالث الهجرى أراد المعتضد بالله العباسى أن يبنى ببغداد جامعة. روى المقريزى أن الخليفة المعتضد لما أراد بناء قصره فى الشماسية ببغداد استزاد فى الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد، فسئل عن ذلك فذكر أنه يريد ليبنى فيه دوراً ومساكن ومقاصير يرتب فى كل موضع رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعملية، ويجرى عليهم الأرزاق السنية ليقصد كل من اختار علماً أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه، ولم يكن رأى المعتضد عجبا فى ذلك العصر الذى أولع فيه الناس بالعلم ومهدت وسائله، ولم يكن جديداً فيه إلا جمع الناس فى مكان واحد

ثم أنشئت جامعة القاهرة التى سميت دار العلم فى القرن الرابع. أنشأها الحاكم بأمر الله، وفتحت للناس يوم السبت عاشر جمادى الآخرة سنة ٣٩٥، وجلت الكتب إليها للنسخ والقراءة، ودرس بها القراء والنحويون والأطباء والمنجمون ودرس الحساب والمنطق

قال المقريزى: وأباح ذلك كله للناس على اختلاف طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها... وحضرها الناس على طبقاتهم، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلم، وجعل فيها ما يحتاج إليه الناس من الحبر والأقلام والورق والمحابر

(للحديث بقية)

عبد الوهاب عزام